الاسلام في جنوب افريقية (١)

كيف وصل الاسلام الى مدينة الكاب وكيف انتشر في جنوب افريقية وما هي احوال معتنقيه

قررت شركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٥٤ ان تجعل مدينة الكاب مستعمرة يقيم فيها المحكوم عليهم من العبيد بالسجن او النفي وقد عملت على قدر ما استطيعهُ من التحقيق ان كل المسجونين الذين ارسلوا اليها من بتافيا كانوا من المسلمين

ولما فشا وباء الجدري في هذه المستعمرة سنة ١٧١٣ كان عدد المسجونين فيها ٥٧٠ شخصاً مات منهم بالجدري مائتان واطلقت حرية الباقين الى مدى محدود فتزوجوا من نساء البلاد غير البيض اللواتي اعتنقن الاسلام فكانت هذه الجماعة نواة الاسلام في جنوب افريقية. وكان لاحد المنفيين مقام خاص واثر كبير في حياة المسلمين هناك فجعل مدفنهُ بعد موتهِ مزاراً يحجُّ اليهِ من انحاء افريقية الجنوبية في عيد وفاتهِ

هذا هو مدفن الشيخ يوسف الذي اصلهُ من بنتام بجاوى وقد كان زعيماً دينيًّا من محمد كريم وجندياً شجاعاً راسخ الوطنية قاد جيوش سلطان بنتام وحارب حتى اشرف على الموت في سبيل استقلال مملكتهِ واضطرَّ اخيراً ان يسلم الى الحكام الهولنديين سنة ١٦٨٣ على اثر خيانة وقع في شركها فارسل اسيراً الى جزيرة سيلان وأبقي فيها الى سنة ١٦٩٤ ومنها نقل الى رأس الرجاء الصالح. فلما وطئت قدماهُ شواطئ افريقية الجنوبية كان اتباعهُ ٤٩ شخصاً فمنحتهم الحكومة قطعة ارض على مقربة من بلدة ستلنبش ومات في ٢٣ مايو سنة ١٦٩٩ ودفن في بستان قس هولندي

ومن اعلام الاسلام في بدء نشأتهِ بجنوب افريقية عبد الله عبد السلام وهو احد المحكوم عليهم الذين ارسلوا الى الكاب فاهتم حين اطلقت حريتهُ بتعليم المسلمين اصول الدين ويقال انهُ كان يعرف القرآن الكريم عن ظهر قلبهِ وانهُ كتبهُ كلهُ آية آية والنسخة التي خطها لا تزال محفوظة وهي من الكنوز التي يبالغ المسلمون بجنوب افريقية في المحافظة عليها. ومدفنهُ قائم في مدينة الكاب عند نهاية شارع دورب. كان عمرهُ لما توفي ٩٥

(١) ترجمة مقالة للدكتور رويمر اعدها المقتطف الانكليزية عن اثر زيارته الى جنوب افريقية في الصيف الماضي

سنة وكثيرون من المؤمنين يزورون مدفنهُ هذا في يومي الخميس والجمعة من كل اسبوع . وقد بلغ ابناؤهُ واحفادهُ وسلالتهم ارقى المقامات بين مسلمي افريقية الجنوبية واحدهم رئيس طريقة من طرق الدراويش الآن

ولم يكتف عبد الله عبد السلام (وقد دعي بعدئذٍ توانج كورو) بكتابة القرآن وتأليف كتب دينية بل اليهِ يعود الفخر في تشييد اول جامع في جنوب افريقية وهذا الجامع لا يزال قائمًا الى يومنا هذا بعد ما اضيفت اليهِ مبانٍ اخرى

هذه هي النواة الصغيرة التي نمت وامتدت فروعها بين الشعب الملقي في جنوب افريقية

***

ان عدد المسلمين في مدينة الكاب ٢٤٤٣٤ واذا اضفنا اليهم مسلمي ناتال والترنسفال وروديسيا بلغ المجموع ستين الفًا وفي جوار مدينة الكاب وحدها ما يزيد على ١٣ جامعًا . وتجد جماعات المسلمين منتشرة في ١٧ مدينة من اهم مدن الكاب وكل جماعة منها لها مدارسها الخاصة حيث تدرس اللغة العربية . وفي ولاية الكاب ميتم اسلامي و بعض اندية وجمعيات مختلفة . وهناك فترة جاءت في احدى جرائدهم «حسنًا تفعل الجمعيات الاسلامية المختلفة اذا اهتمت بعقد مؤتمر اسلامي في جنوب افريقية . ان مجلسًا مركزيًا كهذا يكون كبير الاثر في ترقية شعبنا» . وقد عقد المؤتمر الاسلامي الاول في جنوب افريقية من ١٨ الى ٢٠ يوليو هذه السنة فازدحم بهو بناية المحافظة في مدينة الكاب بالوفود وحضرهُ وزير المعارف ووزير العمل واشتركا في المناقشة التي دارت فيهِ

والسواد الاعظم من المسلمين في جنوب افريقية من غير السود والبيض فان اكثرهم من اهالي الهند الشرقية ومنهم ٧٩ من الاوربيين على ما جاء في احصاء رسمي . وهم في الغالب يتكلمون الانكليزية او لغة الافريكانس اي اللغة الهولندية الخاصة بمدينة الكاب . و بعضهم يتكلم العربية نقلها في حجهِ الى مكة المكرمة وهؤلاء يزدادون سنة بعد اخرى . كذلك تجد في جنوب افريقية ثلاثًا من الطرق منتشرة فيهِ هي الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية والطريقة الرفاعية ولهم كتب خاصة لتعليم اصول الدين وهي تكتب عادة اما بلغة الافريكانس بالحروف اللاتينية او بالحروف العربية

ان الصحافة الاسلامية في جنوب افريقية تعلن بصراحة وعزم ان الخطة السياسية

التي تجري عليها وتدعو اليها في تلوين الشعوب (قسم ٩) في الاخوة الاسلامية. والمسلمون

جامع دربان

هنالك معترف بهم من الحكومة بانهم «شعب ملون» ولهم البرلمان الآن مشروع قانون يقضي بوضعهم في مستوى واحد مع الاوربيين وهم في ولاية الكاب دون الولايات الاخرى حق

(١) في الاصل الانكليزي Coloured People ويريد بها الشعوب السوداء كالزنوج الهند وملقا والصفراء كالصين فانه عبر عنهم دون غيرهم تسمية الكل باسم البعض

الانتخاب وهم يشتغلون في الخياطة والعمارة والنجارة والبقالة وسوق العربات وصيد الاسماك واكثرهم يملكون بيوتهم الخاصة ويتناولون اجوراً عالية في مختلف اعمالهم ونساؤهم كثيرات الاولاد يعتنين في الشوارع غير محجبات في الغالب ويعاملن معاملة طيبة تفضل معاملة نساء الطبقة الاعتيادية من الجنس الاصفر ولا يعترف بالزواج زواجاً شرعياً الاّ اذا سجل في الحكومة. ومع ان كثيرين من الرجال يتزوجون اكثر من امرأة واحدة الاّ ان زواجهم هذا غير شرعي في الغالب لعدم تسجيله

واللغات التي يتكلم بها المسلمون في جنوب افريقية كثيرة واليك بعضها — الانكليزية والهولندية والاوردو والجوجراتي والتاميل والملقية . ومن الغريب انك اذا زرت مكتبة صغيرة في الاحياء الاسلامية وجدت على رفوفها كتباً كثيرة في اللغات المتقدم ذكرها يضاف اليها كتب في العربية والفارسية

والراجح ان نسبة المتعلمين بينهم اعلى من نسبة المتعلمين في سائر الاقطار الاسلامية . فاللغة العربية تدرس في المدارس وقد اهتم معلمو الكتاب بتأليف كتب خاصة يتلقى فيها الاولاد والنساء بوجه خاص اصول الدين على اسلوب قريب التناول وبعض هذه الكتب مكتوب بلغتين — العربية والاوردية او العربية والجوجراتية وقد تطبع اللغة الهولندية الخاصة بالكتاب بحروف عربية والظاهر ان قراء هذه الكتابة كثيرون. ولا يستطيع احد فهمها الاّ اذا كان عارفاً باصول الصرف العربي والافريقي

***

اما ناتال فقد دخلها الاسلام سنة ١٨٦٠ حين نقل اليها كثيرون من العمال الهنود — الهندوس والمسلمين — ليشتغلوا بزراعة القصب . ومع ان الغاية من استقدامهم كانت في البدء العمل في مزارع القصب الاّ ان مهارتهم واقدامهم فتحا امامهم ابواب العمل الاخرى فلا يشتغل منهم الآن في مزارع القصب سوى ربعهم واما الباقون فيشتغلون بالزراعة على انواعها وفي سكك الحديد ومزارع الشاي ومناجم الفحم . اهم جوامعهم واكبر جالياتهم في دربان حيث عددهم يتراوح من ستة آلاف الى ثمانية آلاف نفس وهم منتشرون في ست مدن من مدن ولاية ناتال

وامتد الاسلام الى ولايات الداخلية كالترنسفال وروديسيا بواسطة عمال السكك الحديدية المسلمين وصغار التجار ومن جاءها من المتكلمين بالعربية واللغة السواحلية من

مكان زنجبار فقطنوا في المراكز الصناعية والتجارية الجديدة التي نشأت بعد مد الخطوط الحديدية وكشف المناجم المختلفة

فمدينة بريتوريا فيها نحو ٥٠٠ مسلم وثلاثة جوامع ومدينة جوهانسبرج عاصمة الترنسفال وغيرها من المدن التي تحسب مراكز صناعة التعدين تجد فيها جماعات كبيرة من المسلمين

ودخل الاسلام شرق افريقية البورتغالية ونياسالند من الشاطىء الشرقي بواسطة تجار الرقيق في القرن الثامن عشر فانضوت تحتهُ قبائل كثيرة اكبرها قبيلة ياو

واكثر المسلمين في جنوب افريقية من اهل السنَّة وفيها قليلون من الشيعة جاؤا من الهند ولكن الشيعيين في بريتوريا كثيرون ولهم جامع خاصّ بهم . واكثر الملقيين في الكاب تابعون للمذهب الشافعي لانهم يقتفون خطوات زعمائهم الاول الذين قدموا من جاوى . والمسلمون في نياسالند شافعيون ايضاً وقد تجد بينهم وفي اماكن اخرى كثيرين من الهنود من اتباع المذهب الحنفي . وهناك عدد قليل من اتباع المذهب الاحمدي وقد رأينا كتبهم في اماكن عديدة

واما طرق الدراويش والطرق الصوفية فاكثر انتشارها في مدينة الكاب حيث تجد زوايا كثيرة لها ومنها القادرية والرفاعية والنقشبندية والشاذلية وغيرها

وقد دهشت على عظم بوجود نهضة صريحة لتعلم اللغة العربية حين رأيت نحو ٤٠٠ ولد يتلقون هذه اللغة في مدرسة واحدة بمدينة الكاب وحين عثرت على كتاب صرف عربي انكليزي في ثمانية مجلدات في احدى المكاتب وحين جاءتني رسالة من احد فلاحي قرية زومبا وقد كتبت بلغة عربية بليغة . والكتب التي تقرأ في اتحاد جنوب افريقية ترد من مختلف الاقطار العربية وكثيراً ما ترى الكتب الدينية القديمة بالعربية او الاوردو او الفارسية في مكتبة امام او في ضريح ولي او مكتبة جامع منها القرآنات بالعربية طبع مصر او ببابي والبخاري والبيضاوي والثعالبي . واما كتب الصرف العربية فكثيرة الانتشار

ان زعماء النهضة لتعليم اللغة العربية هم في الغالب من الحجاج الذين يعودون من مكة او المسلمون المتنقون فقد لقيت احد هؤلاء في بيرا فعرفت انهُ ولد في اليمن وتعلم في مصر وزار بطرسبرج بيورك بالولايات المتحدة وبعد ما كان اماماً في دربان جاء يعلم العربية لفتيان الهنود في موزمبيق

الدكتور صموئيل زويمر